(٦٩)

الشَّهِيدُ ﷻ

أثنى الله ﷻ على ذاته العلية باسمه الشهيد؛ في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحج:١٧].

وورد اسم الله: (الشهيد) في كتاب الله -العزيز-: ثماني عشرة مرة.

فربنا ﷻ الذي لا يغيب عنه شيء، وهو الحفيظ على كل شيء، فعلمه أحاط بالأشياء.

وربنا ﷻ يشهد بالحق، وينصف المظلوم، ويقتص من الظالم، سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها، صغيرها وكبيرها، أحاط علمه بكل شيء.

وربنا ﷻ هو الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه، فشهادته أصل الشهادات، ومبعثها، وأعظمها؛ لأنه ﷻ لما كانت الأشياء لا تخفى عليه؛ كان شهيداً لها، أي: عالمًا بحقائقها، عالم المشاهدة لها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية ﷻ.

فمن جلاله ﷻ: أنه شهد لنفسه بالوحدانية والقيام بالقسط:

﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ﴾[آل عمران:١٨].

وشهادته ﷻ بصدق المؤمنين إذا وحدوه، وشهادته لرسله وملائكته: ﴿وَأَرْسَلْنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾[النساء:٧٩].

وشهادته ﷻ للمظلوم الذي لا شاهد له ولا ناصر على الظالم المعتدي، وهذه الشهادة تقتضي: العون والنصرة، قال ﷻ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحج:١٧].

والعباد يشهدون له بالوحدانية، ويقرون له بالعبودية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَا﴾[الأعراف:١٧٢].

❐ حقيقة:

وشهادة العباد ورقابتهم محدودة بأوقات، ولا بد أن تتوقف؛ فالعبد ينام ويغفل ويضعف ثم يموت، أما الله ﷻ فرقابته دائمة تامة، وهو حي لا يموت، ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾﴾[المائدة:١١٧].

وشهادة الله ﷻ أعظم شهادة، فشهادته شهادة حضور ومعاينة، ولا يخفى عليه شيء من جوانب الحقيقة؛ كما يحدث للبشر، فمن شهد الله

له فهو حسبه، ولا يحتاج إلى شهادة غيره؛ ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ شَهِيدٌۢ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ۚ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ ٱللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ ۚ قُل لَّآ أَشْهَدُ ۚ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾﴾[الأنعام:١٩].

وهذه الشهادة من أعظم ما نواجه به باطل الخصوم: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٤٣﴾﴾[الرعد:٤٣].

❐ يوم العرض..

وعندما يقدم العباد على الله ﷻ يوم القيامة يحاسبهم حساب العالم بهم، المطلع على خفاياهم، المحصي لأقوالهم وأعمالهم؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧﴾﴾[الحج:١٧].

والمؤمن يعلم أن عمله لا يضيع عند الله، ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾﴾[سبأ:٤٧].

وأما الكافر؛ فلا يضيع من عمله شيء؛ وإن نسيه فالله قد أحصاه: ﴿أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾﴾[المجادلة:٦].

❐ شأنك..

من علم أن ربه ﷻ شهيد عليه ظاهرًا وباطنًا؛ استحى أن يراه على

معصيته، أو فيما لا يحب، ومن علم أن الله يراه أحسن عمله وعبادته وأخلص فيها حتى يصل لمقام الإحسان، وهو أعلى مقامات الطاعة؛ الذي قال عنه الحبيب ﷺ: «أَنْ تَعْبُدَ اللهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنَّ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»[أخرجه البخاري ومسلم].

إِذَا مَا خَلَوْتَ الدَّهْرَ يَوْمًا فَلاَ تَقُلْ

خَلَوْتُ وَلَكِنْ قُلْ عَلَيَّ رَقِيبُ

وَلاَ تَحْسَبَنَّ اللهَ يَغْفَلُ سَاعَةً

وَلاَ أَنَّ مَا يَخْفَى عَلَيْهِ يَغِيبُ

وشأن المؤمنين: أن يستحضروا مشاهدة الله ﷻ لهم في كل عمل يعملونه؛ دق أو جل، والله ﷻ يقول: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾﴾[يونس:٦١].

بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن، فقال: يا رسول الله أوصني! فقال: «عَلَيْكَ بِتَقْوَى اللهِ مَا اسْتَطَعْتَ، وَاذْكُرِ اللهَ ﷻ عِنْدَ كُلِّ حَجَرٍ وَشَجَرٍ..»[حديث صحيح. رواه أحمد].

قال ابن القيم رحمه الله: "إن في دوام الذكر في الطريق والبيت والحضر والسفر والبقاع تكثيرًا لشهود العبد يوم القيامة"؛ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾﴾[الزلزلة:٤]، ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٧٩﴾﴾[النساء:٧٩].

وقيل: من راقب الله في خواطره؛ عصمه في حركات جوارحه.

ثم إذا نظرت إلى السبعة الذين يظلهم الله يوم القيامة؛ وجدت أن المشترك بينهم أنهم: آمنوا بأن الله شهيد عليهم، ونظروا إلى حالهم فعبدوه كأنه يراهم، فنالوا المنزلة.

اللهم يا شهيد! نسألك أن تغفر لنا وترحمنا وتتجاوز عنا؛ يا أرحم الراحمين!